

حول "أرض مجهولة" لغسان سلهب

أهو موت المدينة أم ولادتها؟



كارلوس شاهين في "أرض مجهولة" لغسان سلهب، الرض المضي إلى لامكان.

كأنه يبحث عن الطعم والمعنى. مرة واحدة ينشد اغنية حب كأنه يرشدنا الى عالمه البعيد الذي يزداد بعداً مع دوامة الطيران الاسرائيلي وغاراته. الى شخصية طارق العائد باحثاً عن الحب او عن الارض والانتماء، يقول "لشو رجعت لهون؟". انه معلق بين العودة والرحيل. ألا تمثل كل هذه الشخصيات بيروت التي ماتت وعاشت سبع مرات، احتضرت وولدت من جديد، تارة على أنغام ترانيل ارثوذكسية، وتارة اخرى على صوت المؤذن الأسر، تياركها تلك الاصوات وتصيها باللعنة في أن واحد. مثل ليلى في الفيلم، بيروت معلقة بين دين يباركها ولعنة ينزلها بها هذا الدين نفسه. هل النسيان ممكن؟

تقودنا كاميرا غسان سلهب المرهفة والأنيقة الى اضطرابات هذه الارض وناسها. ففي رحلة التأمل الوجودية في شوارع بيروت وانقاضها، تنساب الكاميرا في رحلة التأمل والبحث، وتفاجئنا بلقطات جامدة وتشعرنا بالتناقضات التي بني عليها الفيلم، تكشف لنا حالة القلق والضياء حتى الجنون، وهذه التناقضات تبرز في الشريط الصوتي الذي يضاعف من جو التوتر والقلق والفصام، وبين نشرات الاخبار وزحمة السيارات هناك الصمت الذي يذكرنا بعزلة الشخصيات. في هذا "الصمت الصاخب" نفهم سكان الارض المجهولة. وبين السكون والضجيج موسيقى كلاسيكية كأنها حزن المخرج وحدها على مدينته، على نفسه وعلى شخصياتها وعليها جميعاً. فما هي هذه الارض المجهولة حيث تعيش "اشباح بيروت"؟ هل هي ارض الولادة أم ارض الموت؟ هل يعيش سكانها في الماضي أم في مستقبل خال من الوجود؟ ما هي هذه المدينة التي حتى في سلامها، لا تخلو سماؤها من تطبيق الطيران الاسرائيلي ولا تخلو شوارعها من الوجود العسكري؟

يبقى كثير يقال عن هذا الفيلم الغني شكلاً ومضموناً، ولا أدري ان كنت أحرص على نفسي شيئاً آخر في "أرض مجهولة" أم افرح كتلميذة سمعي - بصري؟ أرى في هذا الفيلم بصيصاً جميلاً لمستقبل السينما اللبنانية، وإذا كان "أرض مجهولة" ليس لبعض فيلماً لبنانياً فما هي هوية السينما اللبنانية إذن؟ وما هي مطيات الفيلم اللبناني؟ شكراً غسان سلهب لأنني اشاهد للمرة الاولى فيلماً لبنانياً من دون أن أقول "كثير منيح بالنسبة للبنان".

رانيا الرفاعي

"الارض المجهولة" حيث تعيش "اشباح بيروت". ما هي هذه "الارض المجهولة" التي يشار اليها بشجرة؟ شجرة خضراء عملاقة في مهب الريح، كأنها منذ بداية البدايات، مفروزة في هذه الارض، وحيدة، مجردة من الروابط. كأنها شجرة بلا جذور، وهل ثمة شجرة بلا جذور؟

شخوص هذه الارض او اشباحها أليسوا مثل هذه الشجرة، عالقين، وحيدون يتخبطون في ذواتهم كتخبط الشجرة في الريح، يصدرون ضجيجاً ضائعاً في الفراغ والسكوت واللامعنى؟ حتى الانتماء يبدو بلا معنى، او كأنه بالاحرى فح ينصب لنا منذ الولادة. ما الذي يعرف بالإنسان أكثر من هويته، مثلما عرف غسان سلهب نفسه في بداية الفيلم. نشعر بمدى سخافة هذا الانتماء بل هشاشته، فلو مزقت هذه "الورقة" ماذا يبقى لاشباح الارض المجهولة سوى ان يضعوا هائمين بحثاً عن المعنى والانتماء؟ أليس انتماؤنا وهويتنا ومعتقداتنا وكل ما يبني عليه الانسان حضوره هماً مثل أوراق هذه الشجرة في مهب الريح تصدر اصوات ثورة داخلية واضطراباً لا ينتهي؟

فيلم غسان سلهب الثاني "ارض مجهولة" مثل الصفة، يذكرنا بعيداً عن وهم القضية والاسم والهوية. بأننا وحيدون، بل وحيدون جداً، يعيش كل منا حقيقة ضياعه وتساؤلاته ومخاوفه في هذه الارض المجهولة التي تبدو بطة تراجمية قدرها، او لعنتها، أن تبقى مجهولة، ولعنة اشباحها ان يظلوا في بحث عن معنى لوجودهم، كأنهم فقدوا فجأة راحة العقل والمنطق فاصبحوا هائمين على وجوههم، تفصلهم شعرة بين التعقل والجنون. وساهم ممثلو الفيلم كارول عبود (ثريا)، عيلة خوري (ليلى)، وليد صادق (نديم)، ربيع مرورة (طارق)، كارلوس شاهين (حيدر) في منح الفيلم البعد الذي شاءه سلهب عبر ادائهم الذي يتأرجح بين التعبير عن الذات والتحفظ والصمت، كأنهم يشدون المشاهد ويدعونها الى دخول عالمهم. فـ"أرض مجهولة" يترك للمشاهد فرصة التأمل والمشاركة الذهنية، ولا يقيه آلة تتلقى كما في العديد من الافلام التي نشاهدها في صالات العرض.

رجوعاً الى ارضنا المجهولة نلتقي أولاً ثريا التي تحمل مفتاح هذه الارض. قدرها ان تمضي شمالاً وجنوباً شارحة تاريخ بيروت حتى يقدو هذا التاريخ مع تكراره كأنه غير حقيقي فتتجرد الارض المجهولة أكثر فأكثر من هويتها، وتضع ثريا في دوامة الانتماء، وتروح تجمع أكثر من "قبراً" الى اوستراليا وكندا وسواهما، و"ما بقي الا الصين...". ثريا هي أكثر من يعكس الاحساس بالجمود، فهي عالقة في الحاضر، لا تنظر الى الوراء ومحرم عليها النظر الى الأمام، ويتجسد ذلك في علاقاتها العابرة والمجردة من الأساسيس.

ثم نلتقي ليلى، ونتساءل هل هي حقاً حية، أم توفت منذ زمن واضحة شيئاً تألها يبحث عن جسد ووجود، متأرجحة بين الروحية والإلحاد. نشعر بانها معلقة بين السماء والأرض. كأنها في مسرحية تراجمية هي بطلتها. تنطق بـ"مونولوجات" جذيرة ببطلة اغريقية.

شبح آخر في هذه الارض المجهولة تظهر ملامحه عبر الكومبيوتر كأنها تذوب وتضمحل. يحاول بناء المدينة من جديد، المدينة التي تحتضر. يقفل الباب على نفسه، ويذوب أمام شاشته كأنه مع كل عمارة جديدة يشارك في بنائها يزداد لا حضوراً وغيباً. ونتساءل عندئذ: هل تموت هذه المدينة أم تولد من جديد؟

الى مقدم النشرات الاخبارية في الاذاعة، نشعر به يبتعد عن نفسه كأنه اصبح متفرجاً يتلقى الأخبار في نظرة مجردة. كان هذا المذيع الذي يعيش في دوامة الاخبار والصحف يقبع في زاوية بعيدة عن كل ما يراه فينزعز داخل نفسه ووحده ويبحثه. حتى لدى تناوله حبة فاكهة